المخطوطات العربية الإسلامية الإفريقية النشأة والتطور.

أ/زناتي عامر

مقدمة :

الوجود العربي في إفريقيا قديم وعميق الجذور ، وله أثر كبير على لغات إفريقيا وثقافاتها . وهناك من الأدلة الكثير مما يدل على قدم وأصالة اللغة العربية في إفريقيا فقد عرفت اللغة العربية في بعض أجزاء إفريقيا الشمالية والشرقية قبل الإسلام بسبب المجاورة والقوافل التجارية التي كانت تنطلق في شمال الجزيرة العربية إلى شمال وغرب إفريقيا عبر اليابس قبل حفر قناة السويس .

كما كان للغة العربية وجود في السواحل الشرقية لإفريقيا قبل الإسلام بسبب الملاحة التي كان يمارسها العرب في المحيط الهندي وخليج عدن منتشرين على سواحل شرق إفريقيا . كما كانت الظروف السياسية في الجزيرة العربية تلفظ بعض مجموعات من العرب إلى شرق إفريقيا إثر النزاعات التي كانت تنشب بين الجماعات العربية في الجزيرة العربية . وكل ذلك مما كان قائماً وسائداً قبل الإسلام لسنوات بعيدة . بل إن الأمر أبعد من ذلك ، إذ يرى بعض علماء اللغات أن الموطن الأول للغة السامية ، أم اللغة العربية ، هو إفريقيا ، وأن اللغات السامية من عربية وعبرية وآرامية وغيرها قد انتقلت من إفريقيا إلى الجزيرة العربية عن طريق باب المندب[1] . ومما يؤكد أصالة اللغة العربية في إفريقيا اعتراف عدد من اللغويين الغربيين بهذه الأصالة قبل غيرهم ، حيث اعترف عدد من مشاهير علماء اللغات من الغربيين بأن اللغة العربية واحدة من اللغات الإفريقية أصالةً . وذلك عند تصنيفهم للغات الإفريقية . وعلى رأس هؤلاء العالم اللغوي الأمريكي جوزيف غرينبيرج حيث صنف اللغات الإفريقية إلى أربع أسر رئيسية ، وجعل اللغة العربية تحت ظل واحدة من هذه الأسر ألا وهي الأسرة الإفريقية الآسيوية ، حيث جاءت اللغة العربية ضمن مجموعة اللغات السامية التي تضم اللغة العربية والأمهرية والعبرية . ومن قبل أكد الأمر نفسه عدد من علماء اللغة الأوربيين ، منهم من الألمان مينهوف Menihof ووسترمان Westerman وذلك في تصنيفهما للغات الإفريقية.

لقد كان للمخطوطات العربية المحلية المتعلقة ببلاد السودان خلال القرن التاسع عشر آثارا بالغة ساهمت في خلق تطورات عميقة شهدتها بلاد السودان خلال القرن التاسع عشر. وإذا كانت إفريقيا جنوب الصحراء قد عرفت موجة من الإسلام على يد المرابطين، ابتداء من القرن الحادي عشر الميلادي، تم انتشر انتشارا بطيئا خلال سبعة قرون، فإن الموجة الثانية التي ظهرت على يد عثمان بن

فودي، فاقت خلال قرن ما حققته الموجة الأولى خلال سبعة قرون، من حيث النتائج في نشر الإسلام و الثقافة الإسلامية.

وقائد هذه الموجة هو عثمان بن فودي الذي تزعم أهم حركة إصلاحية خلال القرن التاسع عشر، في بلاد السودان حيث استطاع أن يوحد ممالك حَوْسَ، و يمد نفوذه إلى مساحات شاسعة. وكانت لمبادئه وفكره السياسي آثار بالغة الأهمية امتد تأثيرها إلى بلاد ماسنة على يد شيخو أحمدو، وإلى بلاد فوتة على يد الحاج عمر الفوتي، و إلى السودان الشرقي على يد المهدي السودان.

والكثير يجهل عن المخطوطات في إفريقيا، بل ان الكثير يجزم بأن افريقيا لم يكن لها صيت في العلوم غير أن الحقيقة عكس ذلك، حيث أنه قبل 5000سنة الى 4000سنة وعلى امتداد افريقيا الشاسع فعلى ضفاف نهر النيل نشأت حضارات كبيرة نزولا الى السودان ومرورا الى الغرب الى دول المغرب العربي وجنوبها مالي والنيجر الى اقصى جنوبها مرورا الى سهول السافانا ما كان يعرف بتقاطع الحضارات ، كلها عرفت حضارات متعاقبة وتركت بصماتها في التاريخ وكان لها نصيب في الانتاج الفكري والعلمي لا ينكره الا جاحد.

1) **علم المخطوطات** : المخطوطات[2] بمثابة الكنز، ولذلك ورد في تفسير قوله تعالى: "وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما"[5] أن المراد بالكنز ألواح علم كانت مخبأة،

ويؤكد ذلك رابع الخلفاء الراشدين علي بن أبي طالب رضي الله عنه عندما قرّر أنّ العلم أفضل من المال؛ فالمال يحرسه الإنسان بينما العلم يحرس الإنسان[3].

ويبحث علم المخطوطات الحديث في تاريخ المكتبات، وفي مصادر المخطوطات، وفي الفهرسة، وفي النسخ والنسّاخ وفي الجوانب المادية للمخطوط، وفي كل ما هو خارج عن النص.

إن التفتيش عن المخطوطات وفهرستها وتاريخها والبحث في مضانها يعد المرحلة الأولى في الدراسة سواء لدى عالم المخطوطات الذي يهتم بالمخطوط كقطعة مادية، أو بالنسبة للباحث اللغوي الذي يسعى إلى نقد نص المخطوط ونشره[4].

إنّ البحث عن المخطوطات وجمعها تعتبر المرحلة الأولى التي يمر بها الباحث الذي يريد أن يحقّق مخطوطة معينة. وهنا يلجأ الباحث إلى فهارس المخطوطات. وقد وضعت عدة مولفات عن ذالك من قبل المتخصصين[5].

وفي عالم المخطوطات لا يمكن لشخص بمفرده إنجاز ما يسعى إليه، ويبقى العمل الجماعي يحتل الصدارة فوق كل شيء[6]. إنّ طائفة من الجمّاعين قد كوّنوا لأنفسهم منذ عهد بعيد، مجموعات من الوثائق الأصلية والمنسوخة، اقتنوا بعضها بالمال، وبعضها بوسائل أخرى[7] .

لقد استفاد العالم اجمع مما حوته المخطوطات الاسلامية من مناهج ودراسات قيمة في شتى العلوم والمعارف ، أسست لنهضة العلوم الحديثة وتطورها وبناء الحضارة الانسانية المعاصرة .

وقد كان لإفريقيا حظ وافر من هذا التراث حيث شارك علماؤها في ازدهار الحضارة الإسلامية، والثقافة العربية، وكانوا أول من قاموا بتعريب ألسنتهم، وانصهروا في بوتقة الثقافة العربية الإسلامية تماماً حتى أتقنوها وبرعوا فيها، فخلّفوا لنا ثروة علمية هائلة عُدّت من عيون التراث العربي الإسلامي، ممثلة في آلاف المخطوطات المكتوبة باللغة العربية في مختلف الفنون والعلوم، ومتفرقة في أنحاء المناطق والأمصار[8]، حتى إنه لا تكاد تخلو حاضرة من حواضر الممالك الإسلامية في إفريقيا من وجود كم من المخطوطات العربية الإسلامية.

2) المخطوطات الاسلامية العربية في افريقيا النشأة والتطور:

يمثل دخول الاسلام في افريقيا البداية الحقيقية لنشأة المخطوطات العربية الاسلامية فيها

وقد ثبت أن تاريخ المخطوط العربي الإسلامي في إفريقيا يعود إلى القرن الأول الهجري، وذلك خلافاً لبعض الدراسات التي

تُرجعه إلى ما قبل القرن الثالث عشر الميلادي؛ فقد وُجد مخطوط ضمن ما عُثر عليه في كينيا، عنوانه (أخبار لامو)، يرجع تاريخ تدوينه إلى العام 76 الهجري[9]، فهذا الكشف يُثبت قدم تاريخ تراث المخطوطات الإفريقية، وطول امتداده الزمني، كما أنه يغيّر فهماً آخر يتمثل في اعتقاد بعض الباحثين أن شرق إفريقيا كان تفاعلها مع الإسلام ضعيفاً، وبخاصة في مجال الكتابة والمخطوطات العربية.
كما أن دخول الإسلام في القرن السابع الميلادي لوسط إفريقيا التي تضم الغابون، الكونغو برازافيل، وإفريقيا الوسطى – بانغي، والكونغو كينشاسا، وغينيا الاستوائية، وساوتومي برنسيب، ومنطقة تشاد التي تُعد البوابة إلى باقي دول وسط إفريقيا؛ كان بداية لتاريخ المخطوط العربي الإسلامي فيها، يؤكد كثير من الباحثين والمستشرقين الأوروبيين أن الشخصية التشادية قد تأثرت بالثقافة العربية الإسلامية منذ القرن السابع الميلادي، إلى درجة أن كثيراً من الدول التي قامت على أرض تشاد عبر القرون اللاحقة، مثل دول :كانم، وباقرمي، ووداي، اتخذت من اللغة العربية لغة رسمية لها[10]، فدولة كانم – مثاً — كانت مراسلاتها وخطاباتها جميعها باللغة العربية، كما دوّنت بها تاريخها ونمط إدارتها

وحضارتها. وأما غرب إفريقيا؛ فبالرغم من أن تاريخ المخطوطات العربية فيها جاء متأخراً نسبياً عن تاريخها في شرق إفريقيا، قبل القرن الثالث عشر الميلادي، فإنها شهدت ازدهاراً وتطوراً كبيرين في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، وكثرت فيهما

المؤلفات العربية، وكان للكتب العربية قيمتها، وانتشرت المكتبات العامة والخاصة، وقد أبدع علماء تمبكتو مخطوطات رائعة الجمال باللغة العربية في العلوم الإسلامية واللغة والأدب والرياضيات والطب والشريعة وعلم الفلك وعلم الحيوانات والتاريخ الإسلامي[11]، وكان من بينها نسخ لكتب نادرة حوتها خزائن المكتبات العامة والخاصة.

3) عوامل نشأتها :

- ❖ دخول الاسلام وما أحدثه من ثورة في التدوين والكتابة .
- ❖ قيام الممالك الاسلامية في افريقيا خاصة الغرب الافريقي ، هذه الممالك كان لها الفضل في ازدهار المخطوطات، وما خلفته من آثار مكتوبة خاصة منها المخطوطة .
- ❖ دور الجامعات والمساجد في تطوير فن الكتابة ومن أبرز تلك الجامعات «جامعة تمبكتو » الشهيرة، وقد مثّلت «جامعة سنكوري » نموذجاً حياً يشهد على ازدهار صناعة لمخطوطات في تمبكتو، وهناك «مدرسة بير» في القرن السابع عشر الميلادي و «مدرسة كوكي » التي درس فيها كثير من طلبة العلم، في عاصمة البرنو كَوكَو.
- ❖ الحركات الدينية: مثل حركة الشيخ عثمان بن فوديو [12]وغيرها، فقد جعلت تلك الحركات اللغة العربية لغتها الرسمية في القضاء والفتاوى وجميع العقود والمراسلات، كما أنها أسهمت بجهود كبيرة في حركتي التأليف والنسخ وتطورهما.
- ❖ دور الأمراء والملوك خاصة في التشجيع في عملية التدوين حيث كانوا ينفقون بسخاء على العلماء.
- ❖ العلماء ودورهم الكبير في نشر الاسلام والثقافة العربية الإسلامية ، حيث يذكر السعدي أنه عندما أسلم سلطان جني كان بها حوالي 4200 عالم [13] .
- ❖ اكتشاف الورق وصناعته حيث سهل عملية التدوين فقد انتشرت صناعة المخطوطات في المنطقة الساحلية الإفريقية، كما ساعد وصول أنواع الورق الجيد إلى هذه الحواضر من مدن

جنوب أوروبا على ازدهار حركة التأليف وزيادة نشاطها في خال القرنين الثامن والتاسع الهجريين.

ظلت المعارف الإسلامية ومخطوطاتها غالبة على المشهد الإفريقي حتى بدء الزحف الأوروبي، إلا أنه بعد غلبة الاستعمار وما أحدثه من تغيرات في أنظمة الممالك الإسلامية في الجوانب السياسية والتشريعية

والتعليمية؛ أصاب الثقافة العربية الإسلامية ضعف شديد وانهيار، وهو ما أضعف الاهتمام بالمخطوطات وأفقدها شيئاً من قيمتها العملية، فأوصدت عليها الخزائن وطُمر بعضها تحت التراب، وهي تعاني الإهمال وسوء الحفظ، ورداءة المكان.

4) **نماذج من المكتبات** :

هناك مئات المكتبات الخاصة موزعة في بعض الدول الإفريقية، تشاد ونيجيريا والنيجر والكاميرون وبوركينا فاسو، وغيرها من الدول الإفريقية، تضم ما يقرب م ن (5) ملايين مخطوطة، تنتمي إلى عصور قديمة، وحتى القرن التاسع عشر لم يتم استكشافها والبحث في مواضيعها حتى الآن. وأكثر من (800) كتاب ومخطوط، تمثل قيمة بالغة الأهمية لدراسة التراث الاجتماعي والثقافي لزنجبار وسواحل إفريقيا الشرقية، توجد لدى المحفوظات الوطنية في شرق إفريقيا. وعشرات الآلاف من المخطوطات في مدينة تمبكتو (جوهرة الصحراء) بمالي، يعود عمرها لأكثر من ثمانية قرون، ويبلغ عدد المكتبات الخاصة في مالي وحدها قرابة 120 مكتبة خاصة، يضم ما يقرب من 22 مكتبة منها مليون مخطوطة على أقل التقديرات.

ومن أشهر المكتبات العائلية في تمبكتو مكتبة **الشيخ عبد القادر حيدرة** التي افتتحت رسمياً للزوار سنة 2000م، وتحتضن المكتبة اليوم أكثر من (9000) مخطوطة ومادة مطبوعة، يعود أقدم مخطوطاتها إلى القرن التاسع الهجري، وتوارثت هذا المخطوطات عائلة حيدرة منذ ما قبل القرن السادس عشر الميلادي.

لقد اعتنت تنبكتو بالكتب، والعلم حذا حذوها أهل المدن الأخرى، وفي الصحراء والقرى، التي امتلأت بالمساجد، والمدارس،والمكتبات،والتلاميذ، والفقهاء، والشيوخ مسايرة تلك النهضة العلمية الثقافية في تنبكتو، فقد روى أن أحد التجار اسمه سيدي إبراهيم البصير ذهب إلى السودان الغربي، فوجد في طريقه قرية يطلق عليها شمامة عثر بها على كتب كبيرة قيمة، ووجد مكتبات في

الصحراء منها المكتبة السناوية، ومكتبة الشيخ ماء العينين، ومخطوطات صحراوية سودانية، وفاسية[14]. وهناك المكتبة المتنقلة إن صح التعبير، مكتبة ممأحيدرة للمخطوطات، التي أنشئت في القرن 10هـ/16م،كانت تنتقل في البوادي،وفي القرى،إلى أن وصلت أخيرا إلى مدينة تنبكت،وثبتت فيها[15].

يقول المؤرخ الفرنسي فليكس ديبوا، أن مكتبات تنبكتو شملت تقريبا جميع الكتب، إن لم يكن كلها، فالتمبكتيون مهووسين بجمع الكتب، والمؤلفات النادرة، فهم من عشاق الكتب، وقد وقف ديبوا على إنتاجات، ومؤلفات أدبية من إسبانيا، والمغرب، إلى جانب أعمال من سوريا، وبغداد[16].

وهنالك «**مكتبة أحمد بابا** [17]» التي تحولت إلى «مركز أحمد بابا » يضم (30000) مخطوطة، و «**مكتبة فوندو قاطي** »، وتضم (7028) مخطوطاً، و «**مكتبة طاهر** » التي تضم أكثر من (3700) مخطوط مكدسة بعضها فوق بعض داخل صناديق، إلى جانب أوعية معدنية. ومكتبة **الإمام السيوطي** في تمبكتو تحتوي على مخطوطات قيّمة، منها نسخة من القرآن الكريم يعود تاريخها إلى القرن السادس عشر، كما تضم المكتبة مخطوطاً نادراً في علم الفلك، إلى جانب مخطوطات أخرى تتناول الرياضيات والتاريخ والطب والفلسفة وغيرها، وأقدم مخطوطات في هذه المكتبة يعود تاريخها إلى القرن الميلادي.

كما توجد في السنغال مجموعات من المخطوطات النادرة ضمن عدد من المكتبات الخاصة.

5) أهمية المخطوطات الافريقية :

- ✓ أولاً: **القيمة** الذاتية: المخطوط يتضمن قيمة ذاتية ترجع إلى كونه نوعاً من أوعية المعلومات والعلم والمعرفة متميزاً عن غيره، فهو – بخاف الكتاب المطبوع – يحمل قيمة ذاتية كبيرة مهما كثرت نسخه، بالإضافة إلى استحالة تعويضه في حال الضياع أو الاندثار.
- ✓ ثانياً: **مجال للدراسات المخطوطية**: فالمخطوط الأصلي يُعد مجالاً خصباً لدراسات عدة تتصل بعلم المخطوطات أو ما يُسمى «الكوديكولوجيا »، وعلم تاريخ النصوص، و «البيبليوغرافيا »، وتُعد دراسة «نص المخطوط » أهم تلك الدراسات، بل ربما كانت الغاية العليا التي كثيراً ما تُوظف من أجلها الدراسات الأخرى هي دراسة المخطوط «فيلولوجياً »

- ✓ ثالثاً: **الخصوصية**: خصوصية المخطوطات العربية الإسلامية في إفريقيا ترجع إلى قيمتها التأصيلية، ومرجعيتها العامة المعتمدة على المصادر الرئيسة (الدين واللغة) اللذين يكسبانها تميزاً نوعياً في طبيعة منهجيتها ومكوناتها الثقافية والفكرية وأطرها العامة، والغاية من تأليفها ومنهجيته، فهي بذلك تتميز عن سائر المخطوطات الإفريقية، كما تتميز عن المخطوطات العربية وإن اشتركت مع كل منهما في وجه من الوجوه.
- ✓ رابعًا: **أهميتها التاريخية**: يتمثل ذلك في «البعد الزماني » لتاريخ المخطوطات العربية الإسلامية الإفريقية، ويتضمن:
  - **الامتداد التاريخي.**
  - **طبيعة المراحل التاريخية لهذه المخطوطات.**
  - **المرجعية التاريخية.**
  - **تعد من أهم مكونات تاريخ القارة وعوامل وحدتها ونهضتها**: المخطوطات بصفتها شواهد تاريخية موثوقة تعطي مؤشراً لحقيقة سعى بعضهم ولا يزال يسعى إلى طمسها، وبخاصة الدوائر الغربية والتنصيرية، وهي أن الإسلام أهم المكونات الأساسية في تاريخ الشعوب الإفريقية، بل أهم مرتكز لنهضتها في حاضرها ومستقبلها، وأن «الحضارة الإسلامية والمد الإسلامي في إفريقيا يبقيان الدعامة الرئيسية في خلق وحدة فكرية وعقدية، وفي بلورة كيان ثقافي واجتماعي لا يخل من أبعاد سياسية، وهذا ليس بالنسبة لإفريقيا فقط، بل بالنسبة للقارات المعروفة قديماً جميعها[18] .
  - **إعادة كتابة التاريخ.**
  - **تنوع مصادرها.**
  - **دلالتها على عمق التفاعل.**
- ✓ خامساً: **تجسيد الانتماء وتأكيد الهوية الإسلامية العربية للقارة الإفريقية:**

إن أكثر ما تتأكد به هوية أمة ويتجسد به عمق انتمائها الدين واللغة والفكر والثقافة، والمخطوطات العربية الإسلامية الإفريقية بهذه العناصر تصل القارة بالأمة الإسلامية، والعربية منها بصورة خاصة، بأوثق الصلات وأقوى عوامل الانتماء والترابط العميق (الدين واللغة)، بل ربما كانت القارة الإفريقية المسلمة أسبق القارات تاريخياً في تحقيق هذا الانتماء، واكتساب هويتها الإسلامية، حتى أصبح

الإسلام يوجه نظم الحياة وسلوك الإنسان فيها توجيهاً مباشراً وكاملا، يؤكد الشيخ دان فوديو في مذكراته[19]، أنه وحتى وصول الأوروبيين كان الفكر الإفريقي يبلور حباً للإسلام المنفتح على العالمية .

الخاتمة:

إن الأحداث لا تتجزأ ومعرفة الإنسان بالماضي وحياته كانت دائما الأساس في استشارته فنجد ما هو مكتوب عن الماضي قد يعطي تفسير للمستقبل , وان دراسة التاريخ هو ليس جمع بيانات وإنما التحقق والإثبات والوصول إلى نتائج وإدراك الحقائق التاريخية للتنبؤ عن المستقبل , وان القول المأثور بأنه " لا تاريخ بلا وثائق " خير دليل على أهمية الوثائق والمدونات التاريخية , وقد تنبهت دول العالم إلى تلك الكنوز وأخذت تنشأ أماكن لحفظها ومراكز علمية لتدريس العلوم الوثائقية بغية تخريج نخبة من الوثائقيين لغرض تنظيم وصف الوثائق وحفظها وصيانتها وإصدار الفهارس المنظمة لها , ولهذا شبهت البلاد التي ليس بها دور للوثائق بالمريض الذي أصيب بفقدان الذاكرة .

وتعد المؤلفات التاريخية من المصادر الأصلية الأساسية لدراسة التاريخ والحضارة العربية , فهي تفتح لنا أبواب جديدة متعددة للدراسة كونها تمثل منبعاً مادياً يرد فيه الكثير مما أهمله بعض المؤرخين من أحداث التاريخ , وأن العناية بها غريزة من غرائز الإنسان نشأت معه وترعرعت كلما تدرج إلى الرقي والمدنية , لذا نجدها لم تبلغ مستوى واحد في مختلف الأمم والأزمنة , ولا تزال الدراسات التي تعنى بدراستها قليلة في التراث العربي الإسلامي موازنة بالدراسات الأخرى من تاريخنا على الرغم من الأهمية البالغة التي تحتلها المؤلفات القديمة في نشر العلوم والمعارف لامتنا العظيمة .

وتعد المخطوطات العربية الإسلامية الإفريقية معالم حضارة وأسس بناء لمستقبل القارة

بالتأمل في هذا التراث المخطوط بشواهده التاريخية القوية ونماذجه الحية، يقف على ما وصل إليه العلماء الأفارقة المسلمون وشعوب القارة في مجال الإسهام الحضاري للإسلام والثقافة العربية، وفي تطوير تلك الحضارة والمحافظة عليها ودراستها ونشرها. وتتضح معاني الحضارة الإسلامية ومعالمها فيما تضمنته المخطوطات العربية الإسلامية الإفريقية من دراسات في القرآن الكريم، وفي الحديث النبوي الشريف، وفي السيرة النبوية، وفي المعارف والعلوم الإسلامية، وفي الآداب الرسمية والشعبية المدونة والمقيدة بالكتابة، وتنعكس كذلك فيما وصفته من سلوك المسلمين ونظم حياتهم، وعاداتهم وأعرافهم.

فالباحث يمكنه من خال دراسة هذه المخطوطات الوقوف على دلالات حضارية واسعة في عمق المفاهيم التي تحكم الممارسات، وتوجه السلوك العام في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية؛ من التفصيلات الفقهية والتشريعات القانونية العملية، فهي تقف شاهدة على ما أحدثه الإسلام من تحولات حضارية عميقة، ففيها أنشأه النظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية ونماذج للحكم التي تتسم بقيم العدالة والمساواة في إفريقيا، وقد شهد الواقع هذه النظم التي ظلت حتى دخول الاستعمار تستمد شرعيتها وأحكامها وأساليبها من نظم الحكم التي كانت سائدة في العالم في الإسلامي.

كما يُعطي اتساع رقعة المخطوطات أنحاء القارة المختلفة دلالة على سعة دائرة انتشار الحضارة الإسلامية في إفريقيا، فقد أبرزت المخطوطات ذلك من خلال امتداد رقعتها الجغرافية من جنوب إفريقيا وموزمبيق جنوباً إلى أقصى القارة شمالاً، ومن سواحلها شرقاً إلى السنغال غرباً، وهي بذلك تغطي القارة بأكملها. إن هذه المعالم التي تجسّدها المخطوطات العربية الإسلامية الإفريقية للحضارة الإسلامية والمد الإسلامي والثقافة العربية الإسلامية في إفريقيا؛ تؤكد أن هذه المقومات ستظل الدعامة الرئيسة في ترسيخ وحدة فكرية وعقدية، وتطوير كيان ثقافي واجتماعي وسياسي واحد، وقيام نظم راشدة للحكم والإدارة في إفريقيا تحقق لها أكبر قدر من الانسجام والاستقرار والنماء، فعهد القارة بالإسلام والممالك الإسلامية ليس ببعيد، والجذور لا تزال قوية راسخة، ولا يزال صدى القرآن يتردد، والآذان يُرفع، في أنحاء القارة، ومخطوطاتها العربية الإسلامية تراث غني يجسد المسيرة التاريخية لماضيها وحاضرها ومستقبلها المشرق.

إن كل هذا يبين أن الذاكرة الأفريقية ليست شفاهية فحسب. إنه تراث يثير مشاعر الخوف و الدهشة في آن معاً، إلى حدّ يشعر فيه الباحثون أنفسهم بالارتباك إزاء هذا الكمّ من المعارف المتيسرة. و يوضح جورج بوهاس، أستاذ اللغة العربية في "المدرسة العليا" في ليون و أحد مطلقي برنامج "فيكماس" (تقويم ونشر المخطوطات العربية لمنطقة أفريقيا جنوب الصحراء قائلاً "إن مجموعة المخطوطات المتوفرة تقدر ب 180000 وكان 25% فقط منها موضع جرد، و 10 % موضع فهرسة، فيما 40 % ما زال داخل حقائب من خشب أو حديد**!**" هذا عدا عن جميع المخطوطات المخبأة في المنازل والتي لا يرغب المحتفظون رفع اليد عنها"

الهوامش:

[1] : يوسف الخليفة أبوبكر (بروفسر) : "اللغة العربية في إفريقيا" في كتاب اللغات في إفريقيا – مقدمة تاريخية " يوسف الخليفة أبوبكر وآخرون – دار جامعة إفريقيا العالمية للطباعة – الخرطوم ط1 ، 2006م ص ص 85 ، 86 .

[2] : يقال " إن أول من كتب على الطين هو ادم عليه السلام ثم كتبت الأمم بعد ذلك في النحاس والحجارة قبل الطوفان , ثم كتبوا في الخشب و ورق الشجر , وبعدها دبغت الجلود فكتب الناس فيها " أنظر : ابن النديم : أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب اسحق المعروف بالوراق , الفهرس , تحقيق رضا تجدد (طهران / د . ت) ص 22-23 .

[3] : جاسم الياسين وعدنان الرومي، المرشد الوثيق إلى مراجع البحث وأصول التحقيق، دار الدعوة الكويت ودار الوفاء مصر، ط الثالثة 1992، ص:99.

[4] : أحمد شوقي بنبين، "علم المخطوطات والتحقيق العلمي"، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، عدد يناير 1993م، ص:1981.

[5] : كامل حيدر، منهج البحث الأثري والتاريخي، دار الفكر اللبناني بيروت، ط الأولى 1985،ص:155.

[6] : للمزيد طالع الكتاب الجيد الذي وضعه كراتشكوفسكي وسماه: مع المخطوطات العربية، دار التقدم موسكو،دون تاريخ.

[7] : أرنست كاسيرد، في المعرفة التاريخية، ترجمة أحمد حمدي محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب،ط الثانية 1997،ص:54

[8] : التراث الإفريقي العربي بين الاندثار ومحاولات الإنقاذ، الأخضر عبد الباقي، موقع الإسلام اليوم http://www.islamtoday.

[9] : الشيخ عبد الغفور البوسعيدي رئيس المجلس الإسلامي الأعلى في كينيا، مجلة الوعي الإسلامي – العدد رقم. 526

[10] : نشأة الوجود العربي الإسلامي في وسط إفريقيا .. تشاد نموذجاً، أ.د .عبد السلام ابراهيم داود بغدادي . http://www.mubarak-inst.org

[11] كان الملك أسكيا داوود ملك إمبراطورية صنغي 'سنغاي' يعين أشخاصا من الكتاب الذين يقومون بنسخ المخطوطات، والكتب المطبوعة ليقوم بتوزيعها على العلماء والطلبة مجانا، وكان هو أول من أنشأ مكتبة عامة للمطالعة في هذا الجزء من العالم . للمزيد انظر : محمود كعت ،تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس، تحقيق هوداس و دولافوس، باريس، 1964.ص 94.

[12] : استقر عثمان بن فودي قبل بدء دعوته في إمارة غوبر، إحدى إمارات حَوْسَ السبع، و هي كَنُو و كاشِنَة و زَكْزَك (أو زاريا) و غُوبِر و بيرَم و دَوْرَ. وتسمى هذه الإمارات بإمارات حَوْسَ الأصلية: "حَوْسَ بكوي" . أما زَنْفَرَ و كَبِ و نُفي و غُوار و يورُبا و بُرْغُ و كوارورافا، فيطلق عليها إمارات حَوْسَ غير الأصلية "بنزى بكوي".

[13] : عز الدين عمر موسى: دراسات إسلامية غرب إفريقيا، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط 2 ، 2003 م – ص 113 .

[14] : عمر بن سالم بابكور، النهضة العلمية والثقافية في مدينة تمبكت الإسلامية في القرن العاشر الهجري- السادس عشر الميلادي،الاسكندرية،2002.ص 37.

[15] : المصدر الجزيرة، حلقة قدمت في برنامج تحت المجهر، عنوانها "تمبكتو جوهرة الصحراء"بتاريخ 2005/11/11م،من إعداد عياشي الدراجي.

[16] : Dubois,(F),Tomboucto la Mystérieuses, paris,1897. P237.

[17] أحمد بابا التنبكتي بن الحاج أحمد بن الحاج أحمد بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن علي بن يحيى بن كدالة بن بكي بن نيق بن لف بن يحيى بن تشت بن تنفربن جبراي بن اكنبر بن أنص بن أبي بكربن عمرالصنهاجي الماسي – رحمهم الله-، ولد ليلة الأحد 21 ذي الحجة عام 963هـ(1) - الموافق 26 أكتوبر 1556م،وهو معروف باسم أحمد بابا ، توفي في 22أفريل 1627م ،وله أربعون تأليفا انظر :

,Ahmad BABA de Tombouctou (1556 -1627), sa vie et son zouber Mahmoud A.
..32 œuvre , paris, 1977.p.

[18] : وحدة الحضارة الإسلامية في إفريقيا بين حسن الوزان وتحفة ابن بطوطة ورحلات تشين خه وسفالية أحمد بن ماجد، بروفيسور سيد حامد حريز عميد الدراسات العليا – جامعة إفريقيا العالمية http://www.mubarak -inst.org

[19] : مؤلفات عثمان بن فودي. تم تقسيم تاريخ تأليفها إلى ثلاثة مراحل. وهي كالآتي.

الجزء الأول: من سنة 1774 إلى 1804 سنة الهجرة وإعلان الجهاد.

الجزء الثاني: من1804 إلى 1809. مرحلة الجهاد و تنظيم الدولة.

الجزء الثالث: من1809 إلى1817. سنة انعزاله عن السياسية واقتصاره على التأليف حتى وفاته.

و تختلف مؤلفات ابن فودي باختلاف المراحل التي قطعها، انطلاقا من تكوينه، وبداية الدعوة، ثم تأسيس الجماعة و الجهاد.

....

....

....

....

..

.

.

.